

في كل عصر يرى الكاهن في الحكمة الغنوية والبلم الواسع التي يدرس الوجود لعلم ، غير حائل بقواعد الدين ، يرى الكاهن فيهما خصمين عنيفين ، وهو يحلل كل وسيلة تصرف الانسان عن التأمل في الأشياء بعين نفسه ، وعن جلاء الحقيقة عارية مجردة من غير تشويه . وهذا ما لا يتساهل فيه نيتشه ، ولقد يقترن للمسيحية ما ثبت في الانسانية من آلام ، وما عسى يضر الأمل الانسان إذا كان الأمل يصفيه ؟ وفي الحقيقة ترى الايمان الديني قد خلق أرواحاً كثيرة أقادت البشر ؛ ولم يكلف نيتشه نفسه بيان الآلاء التي قامت بفضل ثورة المبيد فأغنت النوع الانساني وظلت من الانقلابات المتتيرة في التاريخ . ونيتشه يُعجب بالنطق العظيم في المنطق الديني الكاذب ، وبالذهب الذي ابتدعه وظل يُغذى الناس طيلة عشرين قرناً بالأوهام الخيالية ، وقد يُعجب بالكاهن رغم أنه ينطوي على ارادة شريرة ، لأن ارادته تستمد شعورها من نفسها ، لا تحمك الأوهام حول الهدف التي تقصده ولا حول الوسائل التي تصطنعها . وأماما يستفز غضب نيتشه من العالم المسيحي فهو ذلك المحيط القمسي الذي يحيط به ، وذلك المزيج من السكر والنباوة والطهارة الكاذبة التي يتظاهر بها رجال الايمان . فاستنفاق في نيتشه شعوره الوجداني وحبته للطهارتين المادية والروحية ، وجرائته في الذهاب وراء أقصى ما أشرف عليه عقله ، نثار وتمرد على هذا التدليس كله ، ثم انصرف عن هذه الجماعة وفي قلبه سأم من رجالها الذين غدا الوهم عندهم جزءاً من الأجزاء التي لا يتم بدونها الوجود ؛ وهم لا يعرفون أنفسهم حين يخذعون ويخادعون وحين يكونون سادقين ، يعيشون أسرى أوهامهم حين يريدون أو لا يريدون ؛ وأعلن بأن المسيحية هي المتولة عن تسميها للبيئة العقلية والأدوية في أوروبا على أن جهود الكنيسة كلها في مناصرة العلم ذهبت عبثاً ، ومقاومتها للعقل البشري انطلقت أدراج الرياح ؛ فان في أوروبا كثيرين من علماء الطبيعة - على اختلاف مناهجهم ومدارسهم - يعيشون في غير أكناف الدين والايمان ؛ هؤلاء هم أعداء الكاهن . ولكن سائلاً يسأل : وما بال عقول هؤلاء لم تضع سداً يمنع تأثير الوهم المسيحي ؛ وكيف لم يفلح استدعاء الطبيعة والحياة والمغاية في تعظيم القيم المسيحية ؟

كان جواب نيتشه على هذا السؤال جواباً أدبياً ، يقول : إن هؤلاء العلماء لا يؤمنون بعلومهم ، ومعنى ذلك أنهم لا ينصرفون

فصول مختصة في الفلسفة اليونانية

٢٥ - تطور الحركة الفلسفية في المانيا

الناحية السليمة من مذهب نيتشه

الانسان

للأستاذ خليل هنداوي

- ٥ -

يرى نيتشه شريعة المبيد ومثل الزهد وسلطة الكاهن تقوم أركانها على جملة أ كاذب فارغة ؛ وهو لا ينظر إلى الشريعة المسيحية نظرة الرافض لها ، وإنما يجد فيها خطراً كبيراً وهدميراً . إن قطيع المنحطين وتأنيم كاهنهم الزاهد ترام وقد قضى عليهم بأن يتمضوا أعينهم عن بيان أسرار الأشياء ، لكي يضعوا - موضع الامتحان والحقيقة التجريبية - شريعتهم وقيمهم الروحية الضالة التي تالحوها بها حل أسرار الوجود . لو أدرك المريض حقيقة أمره ، وعرف مكان تافيته ، وموطن شفائه ، وعلم أن علاج الكاهن لا يريح من آله الحقيقي شيئاً ، وإنما هو علاج ظاهر يعمل على تشديد الأمل بدلا من أن يعمل على تخفيفه وشفاء صاحبه ؛ لو علم ذلك كله لرأيت المارة المسيحية قد انهارت دعائمها وانهدكت صروحها . إن للنحط الضيف يتجرى عن مخفف حقيق لآلامه عند الطبيب أو عند اللوت . وقد أحس الكاهن هذا الخطر فأخذ يحدث قرناه داعماً عن الايمان ، وهو الافتتاح المبني على غير العقل ، عن الايمان الذي لا يحفل بحقيقة الأشياء ، وهل الايمان بحقيقته إلا أن تقرر وهما تشعر بضرورة وجوده في الحياة ، تقرر وجوده بأي نم كان

يا صلتما والريح تحفق حوله والنبت يطربه بسجع خفيف
وتصايح النيران يندر موجه بحصيد ساقية، وجدب خريف
وربابه الراعي تهدد عنده قلباً بهم بلحنها الممزوف
سكرى من الأثام أسكر شدوها

أكن ناعية وسمع خروف ؛
هلا شجنتك فنانة من بأس
لهفان في كنف الأسي ملفوف
وتوى قلب في الظلام لحيق ا

محمد حسن اسماعيل

الى تبديل المثل الأعلى القيني بمثل أعلى من عندهم ؛ أو أنهم يؤمنون بملهم ويأتون بعمل جديد للحياة يستمدون ملته من المثل الأعلى للشيد على الزهد ؛ أو أن رجال العلم هم رجال متوسطو الادراك ، عاجزون عن إبداع شريعة جديدة ؛ أو أنهم قوم زاهدون محتلون طامون ؛ لا يختلف جوهر مثلهم الأعلى عن مثل الكهان

يشبه نيتشه هذا العالم « المتوسط » بمرأة عجوز لا ته ولا تنجب . وهو قليل القناعة بنفسيه
والآن فلننظر في تعريف رجل العلم :

إن رجل العلم يتصل نمبه بذرية بشرية غير شريفة . تنطوي نفسه على خلال ذرية غير شريفة ، ذرية لا تأمر ولا تمكك سلطة ، ولا تقني شيئاً . إنه طامل دائم يدرك بشعوره حاجته قرأته . إنه وارث أمراض ذرية غير نية ، ملك عليه الزهو ومشى لا يتحري إلا عن الأشياء السلبية في الطابع . أما العظمة فهي بيضة المثل عنه . وإن مما يجعل العالم جليل الخطر شعوره الباطن بأنه من ذرية متوسطة ، فهو والحالة هذه يدأب طملاً على إرادة الرجل « الشاذ » ولا ريب أن العالم يحيا بعيداً عن كل إيمان ؛ ألا ترى فطرته في كثير من المواطنين توأم فطرة رجل الدين ، ثم يخالفه ويفر من ملامسته وملازمة أمثاله ، لأنه يعتقد كل الاعتقاد بأن رجل الايمان هو نموذج سفل في البشرية ، وأن رجل العلم هو أعلى منه . على أن هناك هوة سحيقة تفصل بين رجل الدين ورجل الارادة الكبيرة المريضة ، للقاتل الظافر يفضل هذه الارادة ، والخالق قياً يعتقد بصحتها ، وبين هذا الرجل العالم الجريء ، هذا القصر العجب بنفسه التي فقد إيمانه بنفسه وعلمه . يعمل كما تعمل الآلهة ليزداد غواية وضلالاً ، ولينبتق من التفكير ، وليربح من سييله هذه المسائل الملتقة ؛ قد يكون عمله حسناً لو كان يعمل مستوحياً نفسه ، ولكنه يعمل ليكون مأموراً عاجزاً عن إبداع قيمة جديدة عاجزاً عن أن يتدفع بإرادة

لنحكم أن العالم « غير الذاتي » التي نضجت فيه الحاسة العملية قد ساد أمره فلذا ينتج منه ؛ لا شيء إلا امرأة . . . وآلة لا إرادة لها . . . إنه يشبه للمرأة التي تمكس الأشياء ، ترتقب حتى تظهر عليها فتمكس مرآها ، وإنما غناه في أن يكون مبرراً أثر به الأشياء . لا يحس ولا يلمس آلامه الشخصية . يعمل ما يستطيع ، ويمطى ما يستطيع ، ولكن ما يمطيه حقير

لا قيمة له . هو لا يأمر ولا يخرب شيئاً ، يقول مع (ليدنز) : « أنا لا أحتر شيئاً » . إنه آلة تجلي فيها البودية والخضوع والطاعة . مفتقر الى معلم يهديه الى النجاة للقصودة . وهو ليس بملامة حركة جديدة ، ولا بمة أول . إنه وأسفله ليس بمعلم . إنه وعاء فارغ يتخذ لون السائل للراق فيه ، إنه فاقد الشخصية ثم هاجم نيتشه الشكوكيين الذين يصل بهم علمهم الى حيرة يتساوى فيها الصعود والهبوط ، واللم والجمل ، وإنما يتميزون من رجال العلم بأن هؤلاء طامون خالون كالألات ؛ أما الشكوكيون فهم عقول أضمنها تريثها الزائد في العلوم ، وهم ليسوا بشيعة واحدة ، فمنهم المتعجب والمتدل الزهو بنفسه ، ومنهم النفس التي تبذل الجهد في كشف أسرار الوجود وقد دوختها أسرارها حتى غلقت تروح وتمتدو كالحيايات الدقيقة ليس له من قرار ألا ترى إلى زرادشت - نبي نيتشه - البشر بالسوربرمان قد سحب ورايه خيالاً من هذه الأخيصة الضالة ، رافقته في كل مراحلها ، قد طلقت كل إيمان كان فيه عزاء ، وحطمت كل الأوثان ، وتقدت إيمانها بالأسماء الكبيرة والرموز الفخمة حتى أضاعت غايتها في النهاية ، وصلت في زوايا الوجود الموحش هائجة بدون حجب ولا رجاء ولا وطن . رأما زرادشت فلم يمالك نفسه من الاشفاق عليها

- قال بكآبة : أنت ظلي !

إن الخطر الذي تفر منه ليس بمحقير أيها المسافر !
لن أملكك نهراً شيئاً فاحترس من أن يكون مساؤك أسوأ .
إن السجن لأمثالك الطائشين قد يصبح قسمة لهم
أرأيت هؤلاء المائنين للفسدين ، يبحر جرون في فيودوم !
هؤلاء ينامون نوماً هادئاً لأنهم همكحون بطبائنتهم
احترس في النهاية أن تندو سجين إيمان ضيق ووم قاس
مرعب . على أن كل ما هو ضيق قاس هولك فيه إهواء وخديعة
إنك أضمت الغاية ، وكذلك أضمت سبيلك
يا لك من نفس ضالة طائشة ! يا لك من قراشة منهوكة القوى
ولكن رجال العلم ليسوا جميعاً على هذا النحو الذي صوره
نيتشه ، فهناك رجال يقين من رجال العلم ، علم هؤلاء لا يقف
عند قولهم : ماذا نغري ؟ هو علم وثاب يخلق إرادة ويدع
شريعة ومذهباً

فيلسوف حضاري

(يتبع)